سلسلة بحوث ودراسات
في الفكر الاقتصادي الإسلامي

الظلم الاقتصادي

وأثره على استقرار المجتمع وأمنه

إعـــداد

دكتور / حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

خبير استشاري في المعاملات المالية الشرعية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الظلم الاقتصادي

وأثره على استقرارالمجتمع و أمنه

إعـــداد

دكتور / حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

خبير استشاري في المعاملات المالية الشرعية

مظاهر الظلم الاقتصادى .

يقول العلماء وأساتذة الاقتصاد الإسلامى أن الظلم الاقتصادى معناه ضياع الحقوق والمصالح ، وهو من أشكال أكل أموال الناس بالباطل ، ولقد نهى الله ورسوله عنه و أجمع على ذلك الفقهاء ، ويترتب عليه الحياة الضنك ، وهذا هو ما أشار الله إليه فى كتابه الكريم :﴿ فإما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ (طه : ١٢٣ ١٢٤) .

ولقد ظهر الظلم الاقتصادي بكافة صوره في المعاملات المعاصرة مثل : الربا والإحتكار وغلو الأسعار والجشع والاستغلال والرشوة والاختلاس و التطفيف في الكيل والميزان والغش والمماطلة في أداء الحقوق ، والمحسوبية ، وتسلط المال والجاه ، وضياع الحقوق المشروعة للفقراء في أموال الأغنياء وغير ذلك من أشكال أكل أموال الناس بالباطل .

ولقد نجم عن ذلك الحياة الضنك ولا سيما للطبقة الفقيرة التي تعيش دون حد الكفاية و أحيانا دون حد الكفاف مما أدى إلى سلوكيات من بعض الناس منها على سبيل المثال : السرقة والاختلاس وقبول الرشوة والخيانة للوطن والعنف والارهاب والتذمر وتنظيم المظاهرات السلمية وغير السلمية .... ونحو ذلك ، وهذا بدوره يقود إلى عدم إستقرار المجتمع وأمنه .

وتحاول الحكومات علاج هذه الظاهرة بسياسات مختلفة ، تختلف من دولة إلى دولة وما يصلح في مجتمع لا يصلح لمجتمع آخر منها القمع والإعتقالات وإصدار القوانين الاستثنائية وإعلان حالة الطوارئ ونحو ذلك ولكن بدون جدوي ، فالعنف يولد عنفا ، والقمع يولد انتفاضا، ويتسائل كثير من الناس : ما هو الحل ؟.

تدور هذه الدراسة حول منهج الإسلام في علاج قضية الظلم الاقتصادي بما يحقق استقرار المجتمع وأمنه ورخائه وتكافله وذلك في ضوء معايير وضوابط الشريعة الإسلامية

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ـ من أشكال الظلم الاقتصادى المعاصرة

لقد ورد في القرآن الكريم بأن إنتشـار الظلم بكافة أشكاله من أسباب هلاك الأمم، ومن النماذج البارزة على ذلك فى القرآن الكريم : نموذج قوم شـعيب الذين كانوا يطففون المكيال والميزان فى المعاملات ولقد وصفهم الله بالمفسدين فى الأرض ، ونموذج قارون الذى بغى بماله وقال إنما أوتيته عن علم عندى وامتنع عن أداء الزكاة والصدقات ، ونصحه قومه فقالوا له كما ورد فى القرآن الكريم وقالوا له :﴿ .. وأحسـن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسـدين ﴾ (القصـص : ٧٧)، ونموذج أصـحاب الجنة الذين أقسـموا بأن لا يعطوا الفقراء حقهم فى الحرث .. ولقد وصفهم الله بأنهم كانوا ظالمين طاغين، وفي زماننا المعاصر توجد نفس النماذج والأشكال .

ومن أشكال الظلم الاقتصادى المعاصرةو الظاهرة والمنتشرة على سبيل المثال :

ـ عدم العدالة في توزيع الدخول والثروات وزيادة الغني غنا وزيادة الفقير فقرا .

ـ الاحتكار وغلو الأسعار وعدم التوازن بين الأجور وتكاليف المعيشة الأصلية .

ـ الغش والتدليس والتطفيف في الكيل والميزان والتزوير والمعاملات الوهمية .

ـ الرشوة والإختلاس والإعتداء على المال الخاص والعام بدون حق شرعي .

- استغلال الجاه والسلطان والوظيفة للتربح والكسب بدون حق مشروع .
- خيانة الأمانة بكل صورها وما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق .
- المحسوبية وعدم تكافئ الفرص بين الجميع فقيرهم وغنيهم .
- بخس حقوق العمال بسبب القوانين الظالمة التي تنصف صاحب العمل على العامل.
- التعامل بالربا بصفة عامة وما ينجم عنه من ظلم ومحق .
- عدم تطبيق نظم التكافل والتضامن الإجتماعي ولا سيما بالنسبةلأصحاب المعاشات .
- تقاعس الحكومات في حل مشكلة البطالة والعنوسة والمديونية والمرض .....

ولقد حرمت الشريعة الإسلامية كل الأشكال السابقة بأدلة من الكتاب والسنة لأنها جميعا تدور حول جريمة أكل أموال الناس بالباطل ، وبخس الناس حقوقهم ولا سـيما الفقراء، ولقد تناولها الفقهاء بالتفصيل وبيان العلل من تحريمها ومن تلك العلل أنها تؤدى إلى ضياع الحقوق وهلاك المال والأعيان والموارد ... وكل هذا يقود إلى التخلف والفقر والحياة الضنك والتى أشار إليها الله سبحانه وتعالى بقوله :﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ (طه : ١٢٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن آثارها : التذمر والمظاهرات والإنتفاضات الشعبية من جانب المظلومين المقهورين ، ويقابله من الناحية الأخرى القمع والإعتقالات والسجن والعنف من جانب النظم الحاكمة ، وهذا وذاك يؤديان إلى عدم استقرار في المجتمع و أمنه ، وهذا هو السائد في الواقع المعاصر في معظم دول العالم الغنية والفقيرة ، و الكبيرة والصغيرة ، والمتقدمة والمتخلفة ، فما هو العلاج والحل ؟

أسباب الظلم الاقتصادى .

يستنبط من مظاهر الظلم الاقتصادى وأشكاله المعاصرة أنه ينجم بصفة أساسية بسبب عدم تطبيق ما أمر الله به ، وعدم الانتهاء عن ما نهى الله عنه ، أى عدم الالتزام بأحكام ومبادىء الشريعة الإسلامية بصفة عامة ، وفى مجال المعاملات الاقتصادية بصفة خاصة ، وهذا يرجع إلى مجموعة من الأسباب نوجزها فى الآتى :

- ضعف الإيمان ومن أهمها عدم الخشية والخوف من الله وانعدام المراقبة والمحاسبة الذاتية ، ونسيان المحاسبة الأخروية أمام الله سبحانه وتعالى ، يوم يسأل المرء عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وطغيان المادية التي لاترقب في الفقير والمسكين إلا ولا ذمة .

- انتشار الأخلاق الفاسدة مثل الكذب والنفاق والرياء والغلظة وسوء الظن وعدم الوفاء بالعهود والعقود ، وخيانة الأمانة والرشوة والمحسوبية والاحتيال مما يقود إلى طغيان أصحاب المال والسلطة على مقاليد الأمور ولا يهمهم إلا مصلحتهم المادية .

- انتشار السلوكيات السيئة، ومنها المادية وتفكك عرى التكافل والتضامن الاجتماعى ، وانتشار الأنانية والحقد والكراهية ، وهذا أدى الى ضياع الحقوق المشروعة في أموال الأغنياء للفقراء ومنها : زكاة المال والصدقات والوقف الخيري وما في حكم ذلك .

- تسلط الحكومات الظالمة على كل شيئ ولا تعمل لتحقيق العدل والمساوات بين الناس بصرف النظر عن عقيدتهم وانتماءاتهم الفكرية والحزبية و تتسلط على رعاياها وكبت حرياتهم وتركز في المقام الأول على مقاعد الحكم وتحقيق مصالح رجال المال والأعمال, وتطبق نظم وقوانين الطوارئ و الأحكام العرفية ونحو ذلك مما يخالف أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ، وهذا أدى إلى زيادة الكراهية والبغض بين الحكام وشعوبها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- التضـييق الشـديد من قبل الحكومات الظالمة على منظمات التكافل والتضـامن والرعاية الاجتماعية بأن تقوم بـدورهـا في تقـديم العون للفقراء والمسـاكين والمعوزين ومن في حكمهم بـدعوى أن بعض هـذه المنظمات تمول الإرهاب بدون أي دليل .

- التدخل الأجنبي بكافة صـوره الذي ينهب ثروات بعض الدول ، ولا يساهم مساهمة فعلية في مساعدتها في علاج مشكلاتها ومنها : التخلف والفقر والمرض ونحو ذلك ، بل يظهر دوره الجلى في دعم النظم الحاكمة في قمع شعوبها بدعوي التصدي للأرهاب .

ـ آثار الظلم الاقتصادى على استقرار المجتمع وأمنه .

يسـبب الظلم الاقتصـادي بأشـكاله المختلفة الظاهرة والباطنة، الجلية والخفية مجموعة من الآثار السـيئة على الإنسـان المظلوم والمقهور بصـفة عامة وعلى فئة الفقراء والمسـاكين والغارمين والعوانس والمراهقين والعاطلين ومن في حكمهم بصفة خاصة، وهذا بدوره يؤدي إلى قلق وزعزعة المجتمع ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال:

- - الهم والغم والكرب النفسي الذي ينتاب بعض أفراد المجتمع و يؤدي الى السلبية بسبب الخوف على تأمين حاجاته الضرورية والأصلية المعيشية، فالجوع يقود إلى الخوف والكفر، وهذا يؤدي إلى الإحباط والاستسلام للظلم خوفاً من الاعتقالات وما في حكمها و ينتظر فرصـة للإنتفاضـة ، وهذا عندما يحدث يسـبب قلقا في المجتمع.
- - التذمر والمظاهرات من قبل فئة من النشـطاء للتعبير عن الغضـب بسـبب نقص في الحاجات الضـرورية المعيشـية، وهـذا واقع نجـده في الوقت المعاصر، وما يطلق عليه ثورة الجياع، أو مظاهرة العاطلين، أو تذمر الموظفين المعدومين، أو إضراب أصـحاب المعاشـات، أو مظاهرة المشـردين بدون مأوى .... إلى غير ذلك من المسميات ، وهذا بدون شك يسبب عدم استقرار في المجتمع.
- - انتشار الفساد الأخلاقي والاجتماعي ومن أخطر صوره ارتكاب الفاحشة، والتجارة في المحرمات بكافة صورها، والعنوسة، والبطالة، والسرقة، والاغتصاب، والحرابة وغير ذلك مما تسبب خللاً في قِيَم ومُثُل المجتمع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- -ارتكاب جريمة الخيانة الوطنية، ومن صورها الوقوع في شبكات الجاسوسية والتعاون مع أعداء الوطن تحت تأثير ضغوط الحاجة والفقر هذه الآثار وغيرها تسبب عدم استقرار في المجتمع .

و يكون رد بعض الحكومات إزاء ما سبق بعض السلوكيات على النحو الوارد في البند التالي:

♦ - سلوكيات النظم الحاكمة تجاه تداعيات آثار الظلم الاقتصادي

تدفع التداعيات السابقة للظلم الاقتصادي بعض الحكومات أو النظم الحاكمة سواء أكانت رأسمالية أو ليبرالية أو اشتراكية أو غير ذلك إلى اتخاذ بعض الإجراءات الاستثنائية مثل أمثلتها ما يلي:

- - مقابلة الإنتفاضات والمظاهرات والتذمر الشعبي بالقمع والعنف، وهذا ما يطلق عليه أحياناً مصطلح: "مقابلة العنف بالعنف"، و يولد ذلك مزيداً من الغضب والقلق الأمني وعدم استقرار المجتمع. - إوصدار قرارات وقوانين استثنائية حتى تستطيع الأجهزة الحكومية الأمنية قمع المظاهرات والسيطرة على المجتمع وهذا ما يطلق عليه مصطلح: القوانين الاستثنائية، أو الأحكام العرفية أو قانون الطوارئ أو قانون الإرهاب بما يمكن الحكومة اعتقال بعض المتظاهرين وتقديمهم إلى المحاكمات لإسكات الآخرين.

- - قيام الحكومة بإقالة بعض المسئولين الحكوميين من مناصبهم وأحياناً محاكمتهم محاكمات فعلية أو صورية شكلية أو تهريبهم إلى خارج البلاد، بهدف امتصاص غضب المتظاهرين.

- - توجيه أجهزة الإعلام الحكومية وما في حكمها لنشر معلومات للتهوين من أمر المظاهرات والتذمرات، وأن الأمور هادئة وتكذيب ما تنشره أجهزة الإعلام المستقلة أو المعارضة.

- - الاستجابة لبعض مطالب المتظاهرين الممكنة لامتصاص غضبهم وتهدئة الأوضاع مثل تخفيض الأسعار وزيادة الدعم ونحو ذلك.

- - استقالة الحكومة والإتيان بحكومة بديلة لتستجيب لمطالب المتظاهرين ولتهدئة الأحوال، ولو لفترة مؤقتة، وهذا في الدول الديمقراطية حقاً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- تدخل بعض المنظمات العالمية المعنية بحقوق الإنسان تحت أي ذريعة وتجبر الحكومات على القيام بإصدار قوانين وقرارات تحت إشرافها لمنع الظلم.

- تدخل بعض الحكومات الأجنبية وتسقط الحكومة الوطنية تحت ذريعة حقوق الإنسان وتحتل البلاد.

تعقيب:

هل حققت السلوكيات الحكومية السابقة المقاصد المنشورة ومن أهمها استقرار المجتمع وأمنه؟ وبشيء من التحديد الدقيق ما يلي:

- هل حققت السلبية والإحباط والاستسلام للظلم الاقتصادي استقرار المجتع وأمنه؟
- هل حققت سياسة الاعتقالات العشوائية ضد النشطاء من زعماء الانتفاضات والمظاهرات ضد الظلم الاقتصادي وغيره، استقرار المجتمع وأمنه؟
- هل أدت المنظمات الحقوقية المحلية والعالمية دورها في حماية المظلومين والمقهورين من الحكومات الظالمة التي تسيس الظلم الاقتصادي؟
- !!!!!!! ؟؟؟؟؟

ربما الإجابة الصادقة والأمينة على التساؤلات السابقة: لا لا لا لا ، وهذه الإجابة تثير السؤال المتواتر : ما هو الحل؟ هذا ما سوف نتناوله في الصفحات التالية.

♦ - الإسلام يحقق العدل الاقتصادي المنشود

مهما كانت التراتيب الحكومية لإزالة آثار الظلم الاقتصادي السابقة وأثرها على استقرار المجتمع وأمنه، فهي تراتيب مسكنة ومؤقتة، وريثما يرجع الغضب والتذمر مرة أخرى، والحل الإسلامي هو تحقيق العدل الاقتصادي ومن مقوماته ما يلي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- التصدي للفساد المستشري في المجتمع بكل صوره سواء أكان فساداً سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، وتطهير المجتمع من المفسدين الذين لا يصلحون، وصدق الله القائل: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ" (يونس:٨١)

- توفير الحاجات الأصلية للمواطن من الضروريات والحاجيات لحفظ دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله، من خلال السياسات الاقتصادية والمالية التي تحقق الضمان الاقتصادي.

- إلغاء القوانين والقرارات والتعليمات وما في حكم ذلك والتي تقيد الحريات، ومنها حرية العقيدة، وحرية الفكر، وحرية التعبيرعن الرأي ، ونحو ذلك .

- ضمان حق المواطنة للجميع دونما النظر إلى الديانة أو إى الانتماء إلى حزب أو جماعة أو نحو ذلك .

- عدالة توزيع الدخول والثروات بين المواطنين ووضع ضوابط ومعاييرلذلك في ضوء القاعدة : لا كسب بلا جهد ، ولا جهد بلا كسب .

- تحقيق التوازن بين الأجور والمعاشات من ناحية وبين الأسعار من ناحية أخرى ولا سيما فيما يتعلق بالحاجات الأساسية للإنسان .

- الإلتزام بفقه الأولويات وهى : الضروريات فالحاجيات فالكماليات في الإنفاق الحكومي ، وتجنب إستفزاز الطبقة الفقيرة التي ترى البذخ والترف الحكومى وكذلك الترف من كبار رجال الأعمال والمال وهى محرومة من الضروريات .

- تجنب الإستفزازات من قبل الطبقة المترفة للطبقة الفقيرة المقهورة ولا سيما إذا كانت من ذي النفوذ في الحكم ومنها على سبيل المثال من يمارسون الإحتكار السياسي و الإقتصادي ، فقد قيل : ما عدل حاكم تاجر مع رعيته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ـ العدل الاقتصادى هو المنشود .

الحاكم العادل هو أساس العدل الاقتصادى ، فإذا ظلم الحاكم رعيته ، ثار الناس ضده ، ويعبرون عن ذلك بصور شتى غير حميدة ، وإذا بعد الحاكم عن شرع الله العادل انتشر الظلم وعمت الفوضى وازداد القلق ،وعلى أساس هذه الحقيقية يجب على الحاكم وأجهزته الإلتزام بالمنهج الإسلامى لتحقيق العدل الاقتصادى المنشود، ويتمثل فى الأمور الآتية :

أولاً : التربية الروحية القائمة على التقوى والإيمان والمراقبة والمحاسبة الذاتية : ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذنهم بما كانوا يكسبون ﴾ (الأعراف : ٩٦) ، وكذلك التربية

الأخلاقية القائمة على العدل والصدق والأمانة والشفافية والتعاون والتكافل والبر، ولقد أجمع علماء الاقتصاد الإسلامي على أنه لا إقتصاد بلا أخلاق .

ثانياً : الرجوع إلى شريعة الله عز وجل وهدى رسوله (صلي الله عليه وسلم) فهما أساس العدل والخير والحياة الرغدة والآمنة السعيدة ، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ (طه : ١٢٤ ــ ١٢٦) ، وقول الرسول (صلي الله عليه وسلم) : {{ تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى }} (البخارى) .

ثالثاً : تطبيق الحدود الواردة فى شرع الله ضد مرتكبى الجرائم الاقتصادية فهى تأكيد لسلطان العقيدة والأخلاق ، ويقول العلماء : (إصلاح الناس بالإيمان وإصلاح الدولة بالشريعة) .

رابعاً : حسن اختيار العاملين على أساس القيم الإيمانية والأخلاقية لأن ذلك من موجبات الوقاية من الفساد قبل وقوعه ، ولقد طبق ذلك فى صدر الدولة الإسلامية .

خامساً : القدوة فى تطبيق أحكام ومبادىء الشريعة الإسلامية ، فإذا صلح الراعى صلحت الرعية ، ومن سيرة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان نستطيع أن نستنبط النماذج المشرفة لدور ولى الأمر فى منع الظلم الاقتصادى ، وفى هذا المقام نذكر من قال لعمر بن الخطاب : (لو رتعت لرتعت الرعية) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتوبات

مظاهر الظلم الاقتصادى ٢
ـ من أشكال الظلم الاقتصادى المعاصرة ٣
أسباب الظلم الاقتصادى ٤
ـ آثار الظلم الاقتصادى على استقرار المجتمع وأمنه ٥
ـ العدل الاقتصادى هو المنشود ٩
فهرس المحتوبات ١٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com